

## أحد الأرثوذكسية

### المتروبوليت أثناسيوس مطران ليماسول نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في الأحد الأول من الصوم، نحتفل بأحد الأرثوذكسية، ألا وهو عيد إعادة الأيقونات المقدسة، حيث تغلبت الكنيسة، مرة أخرى، وبنعمة الله على بدعة محاربي الأيقونات، وحافظت بدقة على إيمان وتقليد آباء الكنيسة القديسين كما قد تم حفظه عبر الأجيال.

إن نتيجة هذا الإيمان هي شفاء الجنس البشري، خلاصنا وتألّفنا. إن تكريم الأيقونات هو برهان على اعترافنا بأن الله قد صار شخصاً يمكن وصفه، وبأن كلمة الله قد تجسد فعلاً وصار إنساناً، وأيضاً أن البشر يصيرون حقاً أولاداً لله وأواني للروح القدس، هياكل لله وأعضاء المسيح. إننا نكرّم أيقونات القديسين ورفاتهم لأن الله قد سكن فيها. لذلك نحتفل بإعادة الأيقونات المقدسة ولدينا العادة المباركة بحملها في زياح، وتكريم واحتضان أيقونات المسيح وسيدتنا [العذراء] وقديسي الكنيسة.

وبما أن موضوعنا هو الأيقونات، فلنتذكر الأيقونة بامتياز، أيقونة الله: الإنسان. أول من صنع أيقونة أو صورة عن نفسه هو الله، وهذه الأيقونة هي الإنسان. قال الله: "فلنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا"، وبالفعل أصبح الإنسان أيقونة الله الثالث، أيقونة الله غير المنظور. يمكننا أن نرى صورة الله هذه. الإنسان هو أجمل وأحب مخلوقات الله. لو أراد الله خلق شيء أفضل، لفعل ذلك. صورته، الإنسان، كان أفضل ما خلق. ولكن أيقونة الله الأكثر جمالاً، والتي كانت تحمل كل المواهب التي أعطاها الله إياها عند خلقها، قد تهشمت وتحطمت مع الأسف، لأن الشيطان تمكن من سحقها.

لم يكن صراع محاربي الأيقونات ظاهرة من القرن السابع. لقد بدأ منذ ظهور الإنسان. أثار الشيطان حرباً ضد أيقونة الله، ضد الإنسان، وتمكن من تحطيمها، وجعلها تقع ضحية الموت والخطيئة، وجعل هذه الصورة الجميلة مشوهة لدرجة لم تعد فيها شاهداً على جمال الله، بل شيئاً بات قبيحاً ومليئاً بالأهواء والخطايا. ولكن الله لم يشأ أن يرى صورته تعاني من البؤس. لم يشأ أن يرى أيقونته التي قد خلقها بكثير من المحبة والرعاية تضيع في دمار السقطة والخطيئة. لذلك فقد صار هو نفسه إنساناً ونموذجاً لخلاصنا. وليساعدنا في إعادة اكتشاف جمال وبهاء خلقنا حين خرجنا من بين يديه، أسس الكنيسة، التي من خلالها، أولاً وقبل كل شيء، يمنح نعمة الروح القدس. إن مهمة الروح القدس هي تجديد طبيعتنا المنفسدة وإعادة ولادتنا. تتحقق إعادة الولادة هذه عبر عاملين: الأول هو نعمة الروح القدس، والثاني هو الحرية البشرية. هكذا يعيد الله خلقنا. أولاً وقبل كل شيء من خلال سر الروح القدس. حين نال المعمودية، يتم إنجاز السر العظيم لإعادة خلقنا؛ نطرح إنساننا القديم ونلبس المسيح، إنساننا الجديد. بعدئذ، وبقوة الروح القدس المعطى لنا من خلال الميرون المقدس، تنتشط وتلقى القوة، ليتم تفعيل المواهب التي مُنحت لنا عبر المعمودية والميرون لإعطاء ثمار روحية ولتمجيدنا وتقديسنا.

من جانب الله، أنجز كل شيء على أكمل وجه وبطريقة تليق به. صنع الله خلاصنا وأنهى مهمته؛ والأمر الآن عائد إلينا في كيفية جعل هذه العطايا خاصتنا. الناس الذين تعمدوا على اسم الثالوث القدوس، في الكنيسة ومن خلال الكنيسة، ومُسيحوا بالروح القدس، هم من الآن فصاعداً أشخاص قد أعيدت ولادتهم في المسيح، ويمكنهم الآن أن يمضوا قدماً ويُفعلوا في داخلهم تلك المواهب التي صنعها الله لهم. إذاً نحن جميعاً معمدون بنعمة الله. لا يهم إذا كنا رُضِعاً حين تعمدنا [أي أن ذلك لا يلغي فاعلية السر، وليس المقصود أن المعمودية الأطفال غير مهمة]، لأن المعمودية ليست نتيجة مشيئتنا الذاتية وفكرنا الشخصي، بل نتيجة وفعل الروح القدس. إن ما يحصل بعد المعمودية هو ما يتطلب تعاوننا وقبولنا. في المعمودية، لا توجد موهبة لا يمنحنا الله إيها. إنه يجدد الشخص بالكلية، يعيد تشكيله وحقاً يُلبسه المسيح. وهكذا نبدأ جهادنا، وبما أن الله لا يتصرف بطريقة سحرية، ولا يطمس الحرية البشرية، لذلك فإن حريتنا الشخصية مطلوبة لتعمل مع نعمة الله. إن الجهاد الروحي الذي نخرط فيه منذ أن نصبح واعين لأنفسنا خلال مسيرة حياتنا هو بالضبط كيف نفعل تلك المواهب التي تلقيناها عند المعمودية، والتي نملكها بالطبع منذ خلقنا. ولكوننا مجروحين ومُستعبدين للخطيئة فإن المعمودية ضرورية لنا، ولأجل ذلك أصر المسيح: "من آمن واعتمد يخلص"، لأن المعمودية ضرورية، مع الإيمان، لكي نخلص، إذ بدونهما لا يمكن أن نولد من جديد.

وهكذا يبدأ الجهاد وهو جهاد ضد تحطيم الأيقونات. إنه صراع من الشيطان، ومن خطيئة بيئتنا، ومن صراعنا مع صورة الله، وضد الصورة التي نحملها في داخلنا.

كيف سيحطم الشيطان صورة الله التي فينا من طبيعتنا ومن معموديتنا؟ الخطيئة هي ما يدمر الصورة؛ هذا ما يلوث الصورة ويشوهها، ما يجعل الناس ممزقين وغير قادرين على العمل بشكل طبيعي كما خلقهم الله. الخطيئة هي الأساس عبودية، تستهدف حريتنا بشكل مباشر وتقتلها، ولهذا فهي إهانة تجاه الله والشخص. الناس الخاضعون للخطيئة لا حرية لديهم. في كل ناحية نغلب فيها من الخطيئة نكون عبيداً للخطيئة. وبعد ذلك، فإن المحبة التي كانت لدينا كوننا قد خلقنا على صورة الله، والتي كانت موجهة نحو الله، ومن خلال الله إلى العالم والخليقة وإخوتنا البشر، تصبح محبة أهوائية، صنيعة وفاسدة. فيما يتعلق بالخليقة تصبح عبادة وثن، وفيما يتعلق بالأهواء تتحول إلى شهوانية ورغبة وجشع. الشخص الذي كان جميلاً جداً كما خلقه الله، وفوق كل شيء حراً، هو الآن عبد وأسير هذه الرباطات.

رغم أننا معمدون ومختومون بالروح القدس، ومع أننا نملك في داخلنا بذار جمال الله، مازال يتعين علينا أن نقدم تآزرنا لثمن كل هذه البذار.

كيف يمكن للناس إعادة صنع صورة الله ورؤية الجمال الرائع الذي يمتلكونه بالطبيعة منذ خلقهم؟ لأجل ذلك فإن هذا الجهاد الروحي من جهة الكنيسة هام جداً، لأننا نعلم أن هدف الجهاد هو استعادة أيقونة الله التي تهشمت. وخصوصاً في هذه الفترة، تحشد الكنيسة كل قواها لمساعدة كل منا لاستكمال جهاده الخاص وهدفه. لدى الكنيسة أسلحة وأدوية روحية، لأن الأمر هو جراحة روحية؛ لديها [الكنيسة] أدوات لتخليص

الجسد والنفس من المرض، وتعرف كيف تمنح الناس صحتهم. بالصوم والصلاة واليقظة وعمل الرحمة والاعتراف والاشتراك في الأسرار المقدسة وسر الشكر الإلهي، كل ما تقدمه الكنيسة هي أدوية تدمر الشيطان. إن حضور الله في الكنيسة يجدد صورتنا، ونصير حقاً كما خلقنا الله، صورة وشبهاً. يحدث ذلك حين يدخل الإنسان حيز النعمة. ومن ينجحون هم أولئك الذين يجدون المفتاح لدخول ملكوت السموات، الذين تعلموا التوبة، الذين تمكنوا من تغيير طريقة تفكيرهم وواضعوا أنفسهم. فلنبق أيقونة الله هذه أمامنا ولنقاتل ضد اضطهاد الأيقونات الذي يشنه الشيطان، والذي يرغب في تحطيم صورة الله التي لبسناها في معموديتنا المقدسة.

Source: Metr. Athanasios of Limassol. Homily for the Sunday of Orthodoxy.

<https://www.johnsanidopoulos.com/2019/03/homily-for-sunday-of-orthodoxy-metr.html>